PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

نمطية الشخصية العربية والمسلمة في السينما الأمريكية.

Arab and Muslim Stereotypes in American Cinema

فرشان دليلة.

جامعة الجزائر3 (الجزائر)، ferchane.dalila@univ-alger3.dz

تاريخ الاستلام: 20/ 07 / 2022 تاريخ القبول: 16/ 09 / 2022 تاريخ النشر: 30/ 09 / 2022

ملخص:

تعد وسائل الإعلام من أهم أدوات صناعة الرأي العام المحلي والعالمي على حد سواء، وإحدى الوسائل السلطوية التي تعمل على تأكيد سلطة المهيمن وترسيخ نفوذه في رسم سياسات الدول وصياغة قراراتها. وتعتبر السينما الأمريكية مثالا صارخا للدور الذي تلعبه في تشكيل الرأي العام العالمي وفي توجيهه صوب خططها وأهدافها. ذلك ما يفسر إلى ما كانت تصبو إليه وسائل الإعلام الأمريكية التي عملت على تكثيف هجماتها بعد أحداث 11 سبتمبر2001 ضد العرب والمسلمين. وتوغلت في تقديم صورة مشوهة عنهم باتت مرتهنة بالعنف والتطرف. حتى أضحت قوة التماثل بين المسلم أو العربي والإرهاب صورتان متشابكتان في ذهن المتلقي. وأضحت وصمة "الإرهاب" تلاحق كل مسلم أو عربي في شتى بقاع العالم حتى في عقر داره وفي وطنه.

الكلمات المفتاحية: السينما الأمريكية؛ السينما والسياسة؛ الصورة النمطية؛ العرب والمسلمين .

Abstract:

Media playing an increasingly important role in shaping and mobilising local and international public opinion, it is necessary to guess to what extent these American cinema are able to condition the dominant culture and therefore, the attitudes and attitudes of citizens. Thus, the danger of the media threatens when one is blinded by absolute truths and dogmatic positions that somehow lead to authoritarianism and exclusion; which are precisely the opposite of tolerance and pluralism. Indeed, after the events of September 11, 2001, Arabs and Muslims are identified in the American media, erroneously, assimilated to terrorism. Devastating effects of the repetitive image; which imprints in the consciousness of the receivers a detestable image of the Arabs, that of a cruel and terrorist people. It is a true militant ideology that leads to falsify the identity of the Arab nation.

Keywords: *American cinema; Arabs and Muslims;;cinema and politics Stereotypical image*.

I. مقدمة

إن دور الإعلام في صنع الصور النمطية، ودور السينما في التسويق لإيديولوجيات معيّنة، ليست ناتجا عرضيا، بل جزء من بنية أساسية تسعى إلى خلخلة وتمزيق بنى الآخر، وإعادة تشكيل صور عنه تتماشى وأهداف الطرف المهيّمن. فلا يحصل الحدث السياسي، إلا ويكون الإعلام فاعلا فيه، وذلك لما يتميز به الإعلام، بمختلف وسائله وأساليبه، من قدرة عالية على بلورة الرأي، وتشكيل الوعي وتوجيهه في أبعاد مختلفة، قد تكون خطيرة ، قادرة على تشويه الفكر وإغلاق منافذ الرؤى لدى المتلقي، خاصة إذا ارتبط الأمر بالمجال السينمائي الذي يعتبر مرتعا خصبا لأساليب الدعاية والإقناع، بل وحتى الاحتيال والمغالطة، ذلك لأنها تعتمد على وسائل احتيالية ومنتحلة، فهي كما توصف بالقوة الناعمة، تدغدغ مشاعر المُخاطب، وتتسرب إلى عقله، قصد إقناعه بفحوى رسائلها المشفرة والملغمة . إن تمادي السينما الأمريكية في تحيزها، وتعمدها في تسويق الصورة الدونية للغير، وخاصة للمسلمين والعرب، فتحت المجال للبحث والتحليل بل ولتشكيك في ما تقدمه السينما الأمريكية من مضامين تحمل في طياتها خطابات الكراهية والعنف ونبذ الآخر. من هذا المنطلق جاء طرحنا للإشكالية التالية:

الإشكالية

يشكل التفاوت في القدرة والإمكانيات في ميدان الإعلام والاتصال، سبباً أساسيا في تكريس العولمة، وتوسيع رقعة تأثيرها بتعميق الهيمنة الغربية بصفة عامة، والهيمنة الأمريكية بصفة خاصة. إذ أصبحت وسائل الإعلام إحدى الأدوات السلطوية التي تعمل بشكل غير منظور على تأكيد سلطة الآخر ثقافيا واقتصاديا، بل وحتى سياسيا في ترسيخ أيديولوجيات وقيم الآخر المهيّمن المنتج للمعلومة وللحقيقة الموازية للواقع. ومن هذا المنطلق جاء غرضنا من الخوض في الدور الذي يلعبه الإعلام الأمريكي وخاصة السينما الأمريكية، في توليد القولبة أو النمطية، وفي تغذيتها، بتشويه الحقائق والتعميم المفرط لأحكام خاطئة، وبتحويل الأحداث الملموسة الحقيقية المعاشة إلى أحداث مصنعة. هو البحث عن الطبقة المقولبة التي يخفيها الخطاب الإعلامي بصفة عامة، والخطاب السينمائي الأمريكي بصفة خاصة، كونه موضوع مداخلتنا، الذي أسسناه انطلاقا من تساؤل أساسي حول: **ما هي الصور النمطية التي تسوقها السينما الأمريكية عن العرب والمسلمين؟ كيف تمكنت السينما الأمريكية من صنع التماثل بين الإرهاب والعنف والإسلام والعرب؟**

أهداف البحث

تبدو أهمية المداخلة في البحث عن المضامين وما تحمله من دلالات، وفي تجلياتها وأبعادها السياسية والإيديولوجية، خاصة ونحن نتطرق إلى دراسة هذه الظاهرة في هذه المرحلة التي تتصاعد فيها، يوما بعد يوم، موجات التصادم والحروب. باحثين عن الدور الخطير الذي قد يلعبه الإعلام، ومن بينه الإعلام الغربي الأمريكي، من خلال الخطاب السينمائي كأحد أدوات القوة الناعمة في تشكيل وغرس صور نمطية مسيئة ومشوهة عن الآخر، ما قد يؤدي إلى نشر الحقد والكراهية المكرسة لحالة الانفصال بين الشعوب، والمزعزعة للتماسك الاجتماعي، والمهددة للحس الإنساني في العالم وللكرامة الإنسانية جمعاء.

كما نهدف من خلال طرحنا لموضوع الخطاب السينمائي وتداعياته على العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، إلى الدعوة للعودة إلى طرح فكرة التأثير القوي لوسائل الإعلام، خاصة ونحن نشهد تغلغل التكنولوجيا الجديدة

للاتصال وما أفرزته من ظواهر ومظاهر أكثر تعقيدا، أدت إلى خلخلة البنى الاجتماعية، والثقافية وطرحت تحديات جمة على مستوى مختلف المجالات.

أهمية البحث

أما عن أهمية تناولنا موضوع نظرة الغرب إلى العرب، وعن ما يتم تسويقه من صور مسيئة ومضللة عنهم ، جاء امتدادا لبحوث ودراسات لعدة مفكرين ، ومن ضمنهم إدوارد سعيد Edward W Said الذي يعتبر من الكتاب الأوائل الذين فتحوا المجال للخوض والبحث في كتابه (1994) Orientatism ، حول ما كان مسكوت عليه، ليفضح تحيز وسائل الإعلام الغربية، ومنها الأمريكية، في ما تقدمه من رسائل ومضامين على أنها الحقيقة العاكسة للواقع، وما تسوقه من صور عن العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية و نظرتهم للآخر ، ونجاحهم في صنع التماثل بين الهمجية والتخلف والإرهاب، والمسلم أو العربي.

منهجية البحث:

بحثا للإجابة عن إشكالية مقالنا، عمدنا على التطرق إلى نقاط رئيسة تساعدنا على تفسير وفهم الظاهرة المطروحة وذلك من خلال تعرضنا إلى:

أولا: الصورة النمطية، ما هي دلالاتها وأبعادها.

ثانيا: الإعلام، وعلاقته بالسياسة وعلاقة هذه الأخيرة بصناعة الصورة النمطية عن الآخر.

ثالثا: الصناعة السينمائية، وصناعة المضامين المضللة والمشوهة عن العرب والمسلمين

أولا: تحديد الدلالات والأبعاد لمفهوم الصورة النمطية في الخطاب السينمائي

مفهوم الصورة النمطية:

تجسيدا للمفهوم اليوناني stigma الذي كان إشارة لإنعات فئة من البشر كالعبيد، والخونة، والمجرمين والذين يجب تجنبهم، ذهب غوفمان Gofman في كتابه حول الصورة النمطية إلى القول أنها نعت " الأشخاص الذين يمتلكون سمات أو خصائص تجعلهم تشوه سمعتهم في حقهم كبشر" (Dericquebourg, 2009)

أما **والتر ليبمان، Walter Lipman**، الذي يعتبر أول من استخدم مصطلح **Stéréotype** في كتابه" الرأي العام (1922) فقد حددها في" تلك الصور المحددة الثابتة في عقولنا، التي تحدد علاقتنا بالواقع المؤسس لها" (Filhol, 1995)

أما عن استخدامنا لمصطلح الصور النمطية كترجمة مصطلح **Stéréotype**. فقد جاءت وفق ترجمة الباحثون العرب في المنجد، والتي عرفت أنها "الصورة كما ترى هي شكل أوصفه الشيء، والنمط هو جماعة من الناس أمرهم واحد، وتعني أيضاً الصنف" (العرب، 1957)

أما عن الدلالة التي تحملها الصورة النمطية، فهي تلك "الصورة التي تتكون بفعل عوامل متعددة ومتناقضة، عقلانية ولا عقلانية، منطقية وغير منطقية، واقعية وغير واقعية، فردية وعامة، ثابتة ومتغيرة، وتحمل في

طياتها نزعة إلى التجريد تبعدها عن الواقع الملموس، وتحولها إلى قالب نمط يصادر الواقع، ويشل التفكير. وتتضمن هذه الصورة قدرا كبيرا من التجريد، كما تتضمن تعميما وتبسيطا مبالغا فيهما. وبهذا تصبح الصورة الذهنية النمطية أقرب إلى مجموعة من الصور الذهنية تحوي تجمعا من الأنماط والسمات المستخدمة لتعريف شخص أو جماعة أو أمة دون الإشارة إلى فروق أو مزايا أو سمات فردية أو أية معطيات خاصة" (خضور، 2002)

وهذا معناه أن الصور النمطية تعيد تشكيل الواقع، وبناء تصورات الفرد عن العالم المحيط به على أساس مزيف، يؤثر سلبا على قدرته على الفهم الصحيح للواقع، وبالتالي تحدد وتحكم نمط تعامل الفرد مع الآخر. كونها " تجسد التصور المزيف الموصوف لشعب، أو لأمة دون الإشارة إلى الفروق الفردية، فالعربي يقصد به كل العرب، واليهودي يقصد به كل اليهود". (Filhol, L'Image Sétéotypes des Arabes, du Moyen Age a la Guerre du Golf, 1995)

فالصورة النمطية تعد بمثابة فكرة خاطئة ومبسطة ومختزلة، تقوم على أساس إدراك الفرد لواقع تشكل بناء على تجارب شخصية وتأثيرات خارجية، ولوسائل الإعلام دور كبير في تكوّين هذه الصور في عقوله، قدرة قوية على تنمية معتقداته عن العالم الحقيقي، تأثير أقوى في سلوكه وتعامله مع الآخر وقضاياه.

السينما والخطاب السينمائي:

يتجلى مفهوم السينما في أبسط مدلوله، في كونه أولا: يرتبط بإحدى الوسائط التي تعرض المضمون الفيلمي، فالسينما "أداة تسجل صور متحركة، ثم عرضها، وهي فن الإخراج"(Rey, 1997) ,

ثانيا: باعتبارها لغة، وإنتاجا علاماتيا وجماليا. فهي لغة تواصل تحمل في طياتها خطابا " سينمائيا". فالسينما "وسيلة لنقل الأفكار وفق قصدية معيّنة تستهدف حاستي السمع والبصر، بل تستهدف دواخلنا لتصنع معنا ما يسمى " بالحوارية البصرية" أي التي تربط بنشوء صلة عقلية وانفعالية بيننا وبين الأعمال البصرية التي نتلقاها" (شاكر، 2001),

غير أنه من السذاجة الانتهاء عند هذا التعريف الذي يرفضه بدوره ايسنشتاين Eisenstein ،ويفند فيه فكرة الواقعية الوصفية في الخطاب السينمائي. (Metz, 1964)

ذلك أن مصطلح السينما يحمل في طياته العديد من الدلالات الموجهة لعمق الفكر والوجدان الإنساني، يلمس أرض الواقع بصوره الملغمة لتنفجر وتصيب شظاياها مكامن الخلل داخل مجتمع معيّن" (زويرق، 2010)

فالخطاب السينمائي إلى جانب أنه فن محاكاة الواقع، فإنه أبرز الوسائل التي ينتهجها الغرب لتسويق صورة آخر الذي يعتبره عدوا له، في إطار قوالب نمطية موغلة بالكراهية والازدراء والاحتقار.

ثانيا: الإعلام، السياسة، وصناعة الصورة النمطية

أجمعت العديد من البحوث والدراسات أن هناك تأثيرا مباشرا لوسائل الاعلام في سلوك الجمهور الذي يتعرض لمضامين رسائلها، ويعتبر مارشال ماكلوهان Marshall MacLuhan من أبرز الباحثين الداعمين لفكرة التأثير القوي لوسائل الإعلام، ولتحيزها واحتكارها المعرفة، حيث أكد في كتابه War and Peace in the »

« Global Village "أن حرب الفيتنام هي أول حرب تلفزيونية، إذ أنتقل المتابعون للحرب من خلف الشاشات ، من مجرد مشاهدين سلبيين، إلى مشاركين" (ماتلار، 2005)

وفي هذا السياق ذهب **ليبمان** من خلال تحليله طريقة تصوير الصحف للأحداث، أثناء الحرب العالمية الأولى، إلى أن الصحافة آنذاك عمدت على إعادة إنتاج الوقائع، لتقدم مضامين " زائفة ومضللة جدا، وتخلق صورا مشوّهة، وأحيانا زائفة تماما في رؤوسنا عن العالم الخارجي، ذلك لأن الناس يتصرفون ليس على أساس ما يحدث، أو ما قد وقع فعلا، ولكن على أساس ما يعتقدون أنه الموقف الحقيقي، وهذا الموقف حصلوا عليه من الصور التي تقدمها الصحافة، وهي معان وتفسيرات ليس لها في الغالب سوى نصيب محدود فيما يحدث فعلا. مما قد يؤدي إلى تصرفات ومواقف وانطباعات غير لائقة." (روكيتش، 1993)

كما أكد رواد نظرية ترتيب الأولويات Theory Agenda-setting من خلال دراستهم العلاقة بين أولويات القضايا التي تطرحها وسائل الإعلام والقضايا التي تشغل تفكير الجمهور واهتماماته، أن الأجندة الجماهيرية تتبع الأجندة الإخبارية لوسائل الاعلام. فمن خلال ما تنتقيه وتقدمه وسائل الإعلام للجمهور، توحي لهم أن الأحداث والقضايا المعروضة مهمة أكثر من تلك التي لم تتم تغطيتها، فيميل بذلك المتلقي لتبني ترتيب الأولوية للقضايا التي تتعلق بحياة الفرد وبكل ما يحيطه وفي شتى المجالات. (Chan, 1983)

عزز من جهتهم منظرو ما يُعرف بنظرية الغرس الثقافي Cultuvation Theory ومن أبرزهم Gerbner، الاعتقاد السائد حول قوة تأثير وسائل الإعلام على تشكيل الاتجاهات والتورط السلوكي ، إذ توصل Payne Fund في دراسته الشهيرة حول أثر الأفلام السينمائية على الجمهور خاصة منهم فئة الشباب، إلى أنه إلى جانب الترفيه، تعلم الشباب قدرا من المعلومات حول الحياة الاجتماعية ومظاهر أخرى من العالم الخارجي المحيط بهم . وخلصت مجموعة من الأبحاث التي انطلقت من فرضية أساسية مؤداها أن الأشخاص الذين يشاهدون البرامج التلفزيون لفترات طويلة، يدركون العالم بشكل مختلف عن أولئك الذين يقضون وقتا أقل في تعرضهم لتلك للمضامين، أن كثيفي المشاهدة أكثر قدرة على إدراك العالم الواقعي بصورة أقرب إلى المعالجة التلفزيونية.

ويؤكد كل من رواد نظرية فجوة المعرفة knowledge Gap Theory ، وكذا منظرو الاعتماد على وسائل الإعلام Media Dependency Theory أن أفراد الجمهور يعتمدون على المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام، بشكل متزايد لأغراض التوجيه والمعرفة لما يحدث في مجتمعهم.

لقد أثبتت العديد من الدراسات دور وسائل الإعلام في تشكيل الاتجاهات والمعتقدات بل في كونها تلعب دورا جوهرياً في بناء تصورات الفرد عن العالم المحيط به، ولاسيما البيئة الخارجية التي يصعب عليه أن يحصل على معلومات بشأنها من خلال الاتصال المباشر، فهي تأليفا صناعيا للواقع. صور لا تصنع من فراغ ولا عشوائيا، وإنما تصوغها أنظمة وتفرضها حسب أهدافها السياسية، وما يناسب وأغراضها من خلال أساليب إعلامية متعددة. فالأنظمة كما وصفتها **حنا ارندت Hannah Arendt** في كتابها من -الكذب إلى العنف- " تستعمل الخداع والتضليل المختار والكذب المحض والمجرد كأدوات مشروعة للوصول إلى تحقيق أغراض سياسية' (Arendt، 2006)

ذهب سيرج تشاخوتين Sergie chakhotine في توصيفه لتلك الأساليب الإعلامية الخادعة والمضللة للواقع إلى اختصارها وبجرأة كبيرة في عنوان كتابه " الدعاية والسياسة واغتصاب الجماهير" . Le viol des foules

(par la propagande politique 1939. إذ يتم اغتصاب الجماهير عن طريق الدعاية في وسائل الاعلام التي يحتكرها من يمتلكون هذه الوسيلة ولديهم سلطة عليها، ذلك ما أطلق عليه هارولد إنيسHarold Innis " بدوره "احتكار المعرفة" من خلال كتابه (Empire and Communication) تأكيد على أن من يملك الوسيلة ، يملك سلطة الخطاب، والقدرة والقوة نمذجة سلوك الآخرين واتجاهات الأخرين و استجاباتهم العاطفية في تشكيل القيم والمعتقدات، والمقولبات الشخصية.

ثالثا: مضامين مضللة ومشوهة عن العرب والمسلمين

ازدادت خطورة وسائل الإعلام بسبب الاستمرار في استخدام القوالب النمطية التمييزية. واستمر الإعلام الغربي في تشكيل وتسويق قوالب نمطية سلبية جاهزة، بغية تبرير سياساته التي ينتهجها ضد الآخر، ليزداد الوضع سوءاً بالنسبة للعرب والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. جرعات متتالية من الرسائل الإعلامية تحمل مضامين مضللة ومشوهة عن العرب والإسلام. دفعت بالعديد من الباحثين إلى الكشف عن حقيقة وأبعاد الإعلام الغربي، خاصة منه السينما الأمريكية وعن التأثير السلبي الذي تحدثه في الغرب في توصيفها للعرب والمسلمين، وفي تعاملها مع العرب وقضاياهم السياسية والفكرية. ومن أبرز الباحثين إدوارد سعيد الذي كشف في كتابه **"الاستشراق"** مؤكدا " لقد بدأت السينما منذ مراحلها الأولى في تشويه الشخصية العربية عندما ظهرت في العشرينيات، (...) وحفلت فترة الأربعينيات والخمسينيات بعدد من الأفلام السينمائية التي تصور العربي بأنه رجعي، متعصب، ماكر، كاذب، لا ذمة له، نهم جنسيا وكسولا.. من ثم فقد أدى ذلك إلى السماح بقدر واضح من الأخطاء الفادحة بجانب تجليات التحيز العرقي والكراهية الثقافية بل والعنصرية والعداء العميق الجذور (Ali, 1989) .

نبّه سعيد إدوارد، من خلال تحليله للخطاب السينمائي، أن وسائل الإعلام المرئية تمتاز بقدرة فائقة على بلورة الرؤى، وتشكيل القناعات، ولها فاعليتها في التأثير على المتلقي؛ وأن السينما تبقى إحدى أهم المنابر الترفيهية إسهاما في صنع الوعي الجماعي والجماهيري في عصرنا الراهن. ذلك أن الخاصية التي يتميّز بها الخطاب السينمائي كما يفسره **أومبرتو أيكو Umberto Eco** " أنه يتأسس من حيث علاقة العلامة بالموضوع على الطبيعة الإيقونية بالأساس، بالرغم من احتوائه على مضامين إشارية ورمزية تهم مختلف القضايا المضمونية التي قد يرصدها في توجيه قصدي لوعي المتلقي، والتي قد تحتويها لقطات الفيلم للتنبيه إلى أشياء معيّنة، أو إثارة المتلقي من خلال حوارات الممثلين وكذا مختلف الرموز الموظفة توظيفا سيميائيا" (محمد، 2017)

رموز ودلالات، استنبطها سعيد إدوارد من خلال تحليله للخطاب السينمائي في السينما الأمريكية. فتكرار الصورة النمطية المشينة والمضللة عن العرب والمسلمين في السينما الأمريكية تعكس في الحقيقة علاقات السيطرة والتبعية والصراعات الاجتماعية وتركيب القوة. أي، إن كان الخطاب السينمائي يرصد الواقع بكل تمظهراته، فهو يبنى وفق رؤى تختلف من حيث الرصد والتصور والغاية والنوع، ذلك ما يفسر ويبيّن، أن من يقوم بتحديد السمات ويشكل الصور النمطية، هي تلك الجماعات التي تمتلك درجات أكبر من السيطرة. وان الصورة المسوقة عن الآخر في السينما الأمريكية ترمي إلى تشكيل نوع المعرفة عنه، ومن ثم تحويلها إلى إحساس عام ورأي عام إزاء شعب ما أو دين ما أو قضية معيّنة.

وأستنتج الباحث Laurance Michalak (Michalak, 2004)بدوره أن الصورة الدونية والمشوهة عن العرب لم تكن وليدة أحداث 11 سبتمبر 2001، بل أن تنميط صورة العرب والمسلمين تعود إلى بداية القرن العشرين،

ومن ضمنها الفيلم الصامت **Sheikh** الذي عرض سنة 1021 ، ولعب الممثل Rudolph Valentino شخصية شيخ العشيرة العربي العاشق للأوروبيات، إلى درجة أنه يخطف ويحجز سيدة بريطانية مثقفة ليضمها إلى مجموعة حريمه، غير ان المرأة الأوروبية لم ترضخ لسلطته بل تثور ضد هذا الشيخ الذي أراد أن يفرض عليها قوانين الحرم، وترفض أن ترتدي الثياب الذي فرض على المرأة العربية لأنه يمس بكينونتها، ويحد من حريتها، ولأن قصص الحب دوما ما تنتهي بالسعادة، فكانت حبكة الفيلم أن تقع المرأة الغربية في حب الشيخ، إلا أن الرسالة المسوقة لم تكتمل هنا بحب العربي، بل جاء حبها للشيخ بعد أن اكتشفت أنه في الحقيقة بريطاني الأصل وليس عربي.

أفلام أخرى أضافت للعرب سمات لا ترفع بنظرتها الدونية من شأنهم، فقد سوّق فيلم **The Thief of Bagdad** (1924) صورة العربي الغبي والضعيف، الذي يمكن قتله بسهولة من قبل الفرد الغربي القوي الذي جاء لينتشل ذلك المنهزم من جهله وتخلفه, أما فيلم **The Wonders of Aldin** (1924) فقد جاء في كلمات أغنيته الافتتاحية "لقد أتيت من بلاد، من بلاد بعيدة جدا، حيث تتجول فيها قافلات من الجمال، حيث يقطعون أذنك إن لم يعجبهم وجهك، هذا وحشي، لكن هذه هي بلدي" لقد لخصت هذه الكلمات ما صنعته السينما الأمريكية عن شخصية الإنسان العربي الذي يفتقد للإنسانية بوحشيته وهمجيته، صفات لصقت بالعرب وأضحت تميّزهم مقارنة بالمجتمعات الغربية، من جهته كشف Jack G Shaheen جاك شاهين أستاذ في الاتصال الجماهيري في جامعة إلينوي الأمريكية، من خلال دراسته دامت عشرين عاما شملت أزيد من 900 عمل سينمائي ،حاول من خلالها استنباط تلك الرسائل المسوقة عن العرب والمسلمين في السينما الأمريكية دُوَّنها في كتبه وكان من أبرزها

- Nuclear war films (1984)
- Arab and Musulm Stereotyping in American Popular Culture (1997)
- Reel bad Arab (2006)
- Guitty: Holly wood's verdict on Arabs (2008)
- Abscam: Arabiaphobia in American-Arab (1980)
- The survival of Public Bradcasting (1973)
- The TV Arab (1984)

من خلال قراءة معمقة ومتأنية للرسائل والمضامين الكامنة والمستترة لمجموعة كبيرة من الأفلام الأمريكية، فضح جاك شاهين دور السينما الأمريكية في تكوين معتقدات وأفكار معيّنة سلبية ومشوهة عن العرب والمسلمين، واسهمها في تشكيل الرأي العام والوعي السياسي لدى المجتمع الأمريكي والغربي ككل ، وأججت مشاعرهم العدوانية ضدهم. ولقد أثبت استطلاع " جالوب" GALLUP للرأي العام الأمريكي في 2006، أن 39 %من الأمريكيين يعادون المسلمين، وأن نسبة 44 % من المستجوبين يعتقدون أن المسلمين بطبعهم متشددون في معتقداتهم. كما وافق بشدة وبنسبة 44 % أيضا على الحد من حرية الأمريكيين المسلمين. وذهب 22% منهم للتعبير عن رفضهم لمجاورة المسلمين. لقد سعت السينما الأمريكية متعمدة، إلى غرس في وجدان الشعب الأمريكي والغربي ككل صورة مشوهة عن العرب والمسلمين، صور مضللة سوقت عنهم أنهم شعوب شريرة، غير متحضرين، خطرون يهددون بجهلهم وبوحشيتهم الأمن العالمي، إنهم الإرهابيون .

ويكشف الكاتب الأمريكي المنحدر من أصل عربي ، الدكتور إموند غريب Edmund Ghareeb أستاذ في العلاقات الدولية بجامعة جورج تاون في واشنطن كتاب " الرؤية المزدوجة: صورة العرب في وسائل الإعلام الأمريكية" « Split Vision : The portrayal of arabs in the Americain Media » ، من خلال دراسته وتحليله لمضمون عدد كبير من الأفلام الأمريكية وما تحمله من دلالات ورسائل مشفرة تسوق للمتلقي تلك الصور السلبية عن العرب والمسلمين، وقد أرجع الدكتور إموند غريب في دراسته العوامل المؤثرة في تأسيس الخطاب السينمائي الأمريكي عن العرب والمسلمين، حيث حددها في: 1- التحيّز الثقافي، 2- الصراع العربي الإسرائيلي، 3- جو التفكير المتشابه ضمن وسائل الإعلام الأمريكية المؤثرة، 4-جهل وسائل الإعلام الأمريكية بأصول وتاريخ الصراع، 5- اللوبي الإسرائيلي المصمم والمتطور.

يبدو لنا جليا، أن وسائل الإعلام الجماهيرية " تُستخدم لتقديم رسائل مخططة عمداء بغية استنباط سلوكيات معيّنة من جانب جماهير القراء، أو المستمعين، أو المشاهدين. التعديل الواقعي للسلوك هو الهدف الذي ينبغي تحقيقه، باعتباره المتغيّر التابع في النظرية التي تستهدف تفسيره" (بول).

الخاتمة

تمكنّ الإعلام الغربي في عصرنا الحالي من توسيع منافذ نفوذه، حيث أضحى العامل الرّئيس في تشكيل الصّور الذّهنيّة في الذّاكرة الإنسانيّة الغربيّة والعالمية، وقد نجم عن ذلك تكوين صور نمطية يتماثل فيها الإسلام أو العرب بالإرهاب. صور وإن نجح صانعوها ليس فقط في تسويقها للعام وإنما في تشكيل المعرفة عن الآخر وإن كانت غير صادقة في طرحها وكاذبة ومضللة للوقائع والأحداث وخير وصف للإعلام الأمريكي ذاك ما صرح به المؤرخ والفيلسوف الفرنسي جون بيار زرادور Jean-Pierre Zarader " لا يعكس فيلم القناص الأمريكي "تراجيديا كايل، وإنما في الواقع، يأخذ بنا للغوص في تراجيديا تاريخ أمريكا التي تتغنى بالحرية، بينما حقيقتها أنها هي التي ولدت في العنف، وهي التي تستمر في إعلدة إنتاجه، بل وتعمل على إغراق العالم بأسره في دوامة هذا العنف، الذي هو في الأساس متأصل فيها "(Zarader) .

يهدف الإعلام الأمريكي المؤدلج من خلال صنعه وتسويقه صورة سيئة عن الآخر الذي لا يؤمن بنفس أيديولوجيته، ليظهر فكره ويروج له كبديل وكخلاص اجتماعي. وأن الحروب التي تشنها أمريكا، خاصة منها ضد المسلمين والعرب، تصور على أنها حروب ضد الإرهاب، مع ترسيخ فكرة في أذهان النّاس بأن هناك علاقة وطيدة بين الإسلام والإرهاب وهذا لتبرئة الغزو الأمريكي من أي تهمة وتجميل صورته. أنهم «متوحشون» هكذا كان يردد مرارًا وتكرارًا **كريس كايل** بطل فيلم " **القناص الأمريكي**" **American sniper** وهو يطلق النار على العراقيين. أنهم هم "الطرف الشرير" في حرب صورها المخرج **كلينت إيستوود** على أنها مسرحية أخلاقية، نجح من خلالها في بناء شخصية **كايل** الضحية، التي تعاطف معها المشاهد والتمس له الأعذار والتبريرات في كل مرة أغتال فيها مواطنا عراقيا، كون الآخر هو، مثلما أظهره الفيلم في صورة ، البغيض والسيئ الشرير.

وعن المفارقة بين الواقع وزيف فيلم القناص كتبت الكاتبة الصحفية حنان شومان "وعادت بي الذاكرة لأبريل عام 2012 حين كنت عضو لجنة تحكيم في مهرجان الجزيرة للأفلام الوثائقية في دورته الثامنة، ومنحنا أنا والأعضاء الجائزة الكبرى لفيلم تسجيلي بعنوان Permission To Engage أو «الإذن بالاشتباك» للمخرجة الهولندية سوشين تان، الذي يحكى بالصوت والصورة والمستندات من شهادات بشر سواء جنود أو قادة وتسجيلات فيديو وصوت وكلها لأمريكيين شاركوا في حرب العراق، كلها تقول، إن هذه الحرب وكل ما حدث

فيها منهم كان جرائم ضد الإنسانية، وإن هؤلاء الجنود كانوا يأخذون أوامر بالهجوم والقتل لكل مار بالطريق والغريب أن نفس المشاهد الحقيقية التي صورها الفيلم التسجيلي «الإذن بالاشتباك» هي ذاتها التي صورها إيستوود في فيلمه «القناص الأمريكي» مع فارق واحد أن هذه المشاهد في الأول تدين أمريكا وفى الأخير تمجد وتستدعى العطف مع أمريكا وجنودها (شومان، 2015)

التوصيات:

بُني الخطاب السينمائي الأمريكي المشين والمسيء للعرب والمسلمين على وقائع تاريخية حقيقية، غير أنه يفتقد للموضوعية و النزاهة . إن تفوق قوة الطرح الغربي على العربي مرده امتلاك الطرف الأول للتقنية ولأكبر شركات الإنتاج السينمائي، وكذا شركات التوزيع، مما مكنه من امتلاك سلطة الخطاب وتسويق أفكاره وترسيخها لدى

المتلقي، ليس على المستوى المحلي فقط، وإنما العالمي أيضا، وهذا ما يدفع بنا للقول أنه على الدول العربية الاهتمام بهذا القطاع وتشجيع كل المبادرات الرامية للحاق بالعالمية. وفي هذا المنوال جاءت مبادرة مؤسسة Pillars Fund وهي جمعية تم تأسيسها من قبل الجالية المسلمة في أمريكا، تهدف إلى تقديم منح للمخرجين والمؤلفين والمنتجين السينمائيين المسلمين دعما لهم من أجل التصدي للإعلام الزائف والمضلل المسيء للعرب والمسلمين.

كما يساعد استغلال الوسائط الجديدة، ومنها شبكات التواصل الاجتماعي، على فتح المجال لحوار راق ومتساو بين مختلف الشعوب والمجتمعات، لتصحيح صورة الآخر، وغرس روح التسامح والإنسانية بينهم. كموقع إسلامك سيتي www.islamicity.com، الذي يُعتبر من أكبر المواقع حول الإسلام على شبكة الانترنت باللغة الأنجليزية.

وفي الأخير ، نأمل أن تُشجع البحوث والدراسات في الجامعات العربية لمواجهة الخطاب الغربي ومنه الأمريكي الذي شكل لدى المتلقي قناعة أن الإرهاب والعنف والهمجية دلالات للصيقة بماهية العرب والمسلمين، بل الأخطر أن هذه الأفكار رسخت حتى بين أفراد هذه الفئات والمجتمعات.

المراجع:

المنجد (1957)، ط 2 ، بيروت، دار المشرق، ،ص 827

أديب خضور، **صورة العرب في الإعلام الغربي**، (دمشق ،الناشر الكاتب نفسه، الطبعة الأولى،2002) ، ص11

ارمان وميشال ماتلار **تاريخ نظريات الاتصال**، ، ترجمة نصر الدين العياضي والصادق رابح، (بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الثالثة، 2005) ص140

سلامي محمد ، **الخطاب بين التداول والتأويل**. تأليف مجموعة من المؤلفين ، (إربد، الأردن، منشورات مخبر التواصل وتقنيات التغيير، عالم الكتب الحديث، 2017)

عبد الحميد شاكر: **التفضيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني**، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعارف، 2001) ص 357

فؤاد زويرق، **خطاب الصورة، المتخيل والواقع، قراءات عاشقة في أفلام سينمائية** (دار ليلى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2010) ص43

ملفين ديفلير و ساندول روكيتش، **نظريات وسائل الإعلام**، ترجمة كمال عبد الرؤوف، (القاهرة ،الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 1993) ص560

Emmanuel Filhol: **L image stéréotypée des Arabe, du Moyen Age a la guerre du Golf.** ed Homme et Migrations. 1995 .

Hannah Arendt: **du Mensonge à la Violence** ; Edition Pyot et Rivages Paris ; 2006

المقالات:

حنان شومان (2018): إنهم يزيفون الحاضر .. الجمهور يصفق للقناص الأمريكي، جريدة اليوم السابع، 25 يناير، www.youm7.com

Kara chan (1983): **The Media and Environment Issues in Hong Kong**; international journal of public opinion research; vol II; n 2 summer p 145

MERAD ALI (1989) : **les Medias Américains et le Monde Arabe** ; in Horiyons magribains ; le droit a la mémoire ; N14- ; p 15

Jean-Pierre Zarader (2015) **American Sniper, ou le refus de la répétition**. Sens public. Revue internationale. International Web Journal www.sens-public.org

Laurance Michalak (2004) **La Représentation des Arabes dans le Cinéma Américain** ; Yvan Cliche ; Revue Séquences ; N231 Mai-Juin ; ; pp 36-37

Régis Dericquebourg (2009) **Stigmates, préjugés, discrimination dans une perspective psychosociale** HAL Id: halshs-00067978 https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00067978

مواقع الانترنيت

www.islamicity.com consulté le 30/06/2022

www.gallup.com consulté le 20/05/2022